

## نبذة مختصرة

## عن فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى

## رحمه الله

- ولد فضيلة الشيخ الإمام داعية الإسلام «محمد متولى الشعراوى فى ١٦ من أبريل عام ١٩١١ بقرية دقادوس<sup>(١)</sup> مركز ميت غمر بمحافظة الدقهلية .
- أتم حفظ القرآن الكريم بكتاب القرية وعمره أحد عشر عاماً .
- ألحقه والده رحمة الله تعالى عليه بالمعهد الابتدائى الأزهرى بالقازيق عام ١٩٢٦م ، ثم التحق بالقسم الثانوى وحصل على الشهادة الثانوية الأزهرية عام ١٩٣٦م .
- التحق رضى الله تعالى عنه بكلية اللغة العربية عام ١٩٣٧م وحصل على عالية اللغة العربية عام ١٩٤١م ، ثم حصل على العالمية وإجازة التدريس عام ١٩٤٣م .
- بدأ حياته العملية مدرساً بمعهد طنطا الأزهرى ، ثم معهد الاسكندرية ، ثم معهد القازيق ، ثم معهد طنطا مرة أخرى .
- عمل مدرساً للتفسير والحديث بكلية الشريعة بجامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة عام ١٩٥١م .
- وبعد عودته من المملكة العربية السعودية عين فضيلته وكيلاً لمعهد طنطا الأزهرى .
- تولى رضى الله تعالى عنه منصب مدير الدعوة الإسلامية بوزارة الأوقاف عام ١٩٦١م بمحافظة الغربية .
- عين فضيلته مفتشاً للعلوم العربية بالأزهر الشريف عام ١٩٦٢م .

(١) دقادوس : قرية قديمة جداً تقع شرق النيل - فرع دمياط - وكانت تتبع الشرقية واسمها فى العصر الفرعونى «أنوكاتوس» وفى العصر القبطى «ناكادوس» والعربى «تقدوس» . «دقادوس» هى الآن تابعة لمدينة ميت غمر محافظة الدقهلية . اشتهرت قديماً بصناعة تجليد الكتب وصناعة الحصى الرقيق ، ونشهر إحدى عائلاتها بتجوير وعلاج كسور العظام .  
تضم أيضاً مساجد عديدة لشيوخ أجلاء بعضهم من آل بيت النبى صلى الله عليه وسلم لله منها : مسجد محمد شمس الدين الباز ، ومسجد سيدى عبد الله الأنصارى ، ومسجد سيدى أبى بكر السطوحى - تلحيد السيد البدوى - ومسجد محمد نصر الدين الأربعين . تناقلت الصحف أخبار دقادوس فى عام ١٩٣٠م عندما حدثت اضطرابات بها لامتناع أهلها عن التصويت فى الانتخابات المزورة ضد حزب الوفد التى قام بها إسماعيل صدقى باشا وسقط فيها شهداء وقتل فيها ضباط وظلت تحت حصار قوات - الهجانة - فترة طويلة وقد طبق فيها حظر التجول من الغروب وحتى الصباح .

- اختاره فضيلة الإمام الأكبر الشيخ «حسن مأمون» شيخ الأزهر مديراً لمكتبه عام ١٩٦٤م.
- ابثعث رئيساً لبعثة الأزهر الشريف في الجزائر - بعد استقلالها - عام ١٩٦٦م وأشرف خلال مدة بعثته بالجزائر على وضع مناهج دراسية للغة العربية بها.
- في عام ١٩٧٠م عين أستاذاً زائراً بكلية الشريعة بجامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة، ثم رئيساً لفهم الدراسات العليا بها حتى عام ١٩٧٢م.
- سطع نور فضيلة الشيخ الإمام «محمد متولى الشعراوى» كداعية إسلامي من طراز فريد في عام ١٩٧٣ من خلال التليفزيون المصري ثم العربي، فكان نوراً على نور هدى الله به الخلق الكثير والجم الغفير وكانت إطلالته يوم الجمعة على محبيه ومريديه يوم عيد تنزل فيه الرحمات ويباهى به الله تعالى ملائكته.
- اختاره السيد «ممدوح سالم» رئيس مجلس وزراء مصر الأسبق وزيراً للأوقاف عام ١٩٧٦م.
- أعيد اختيار فضيلته وزيراً للأوقاف ووزير دولة لشئون الأزهر في التشكيل الجديد لوزارة السيد «ممدوح سالم» عام ١٩٧٧م.
- بعد أن قدم الكثير والكثير، لبلده ولأمته، رأى فضيلته أن الأفضل له ولدعوته أن يكون حراً في البلاغ عن ربه فقدم استقالته من مهام الوزارة في ١٥/١٠/١٩٧٨م.
- منحه الرئيس الراحل «محمد أنور السادات» وسام الاستحقاق عام ١٩٧٦م.
- بعد أن تحرر من قيود الوزارة انطلق رضى الله تعالى عنه في مشارق الأرض ومغاربها داعياً إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة، وموضحاً سماحة الإسلام ووسطيته، منفذاً لما يحاول البعض أن يلصقه بالإسلام من مفاهيم ضالة، فقام بزيارة الهند عام ١٩٧٧، وباكستان عام ١٩٧٨، والمملكة المتحدة عام ١٩٧٧، والولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٨٣، وكندا عام ١٩٨٣، وكثير من البلاد الأوروبية والآسيوية. حاملاً في قلبه كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم مؤدياً واجب البلاغ عن ربه تعالى وعن رسوله صلى الله عليه وسلم.
- عين عضواً بمجمع البحوث الإسلامية عام ١٩٨٠م.
- اختير عضواً بمجمع اللغة العربية بالقاهرة عام ١٩٨٧م.
- منحه الرئيس «محمد حسنى مبارك» وسام الجمهورية من الطبقة الأولى عام ١٩٨٨م في الاحتفال بيوم الدعاة.
- حصل على جائزة الدولة التقديرية عام ١٩٨٨م.
- حصل على جائزة دبي الدولية لخدمة القرآن الكريم عام ١٩٧٧م.

- انتقل رضى الله تعالى عنه إلى رحمة الله تعالى فى يوم ١٧/٦/١٩٩٨ فى منزله العامر بالهرم ودفن بمسقط رأسه فى دقادوس، وكان يوماً مشهوداً اتسعت فيه القرية لاحتضان ما يقرب من مليونى شخص يودعون شيخهم إلى مثواه الأخير، وقد قام الأزهر الشريف بعمل سرادق بميدان الحسين لتلقى العزاء فيه، وقد أمّ السرادق العديد من الوفود العربية والإسلامية والشعبية والرسمية، وشارك الشعب المصرى بكل طوائفه فى تلقى العزاء، فكان الكل يعزى الكل فى مصاب الأمة الفادح.
- مُنح قلادة الجمهورية رفيعة المستوى من السيد «محمد حسنى مبارك» رئيس جمهورية مصر العربية عام ١٩٩٨م لاسم فضيلته بعد انتقاله إلى رحمة الله تعالى.
- منح وسام الشيخ زايد من المرتبة الرفيعة.
- وخير ما قدمه فضيلة الشيخ الإمام «محمد متولى الشعراوى لأمة العربية والإسلامية، خواطره حول القرآن الكريم التى تذاع فى جميع أنحاء العالم مرئية ومسموعة ومقروءة وعلى أقراص ال CD.
- تذر المكتبة الإسلامية بالعديد من كتب فضيلته فى كافة فروع العلم والمعرفة، وإن كانت جميعها تنهل من المورد الصافى والمعين الذى لا ينضب ألا وهو تفسير الشعراوى وإذا كان التفسير قد ألقى فى شكل دروس وحلقات، وطبع مسلسلاً حسب ترتيب القرآن العظيم، فإن هذه الكتب عبارة عن تفسير موضوعى لآيات جمعت بعناية فائقة، ورتبت ترتيباً جيداً، وروجعت مراجعة علمية دقيقة ارتضاها الشيخ فى حياته وأشاد بها وأثنى عليها ويجدر التنويه إلى أن فضيلة الإمام قبل رحيله لم يعهد إلا لمكتبة التراث الإسلامى ودار أخبار اليوم بطباعة كتبه وأقرت ذلك ورثته بعد رحيله ووافقت عليه.
- لذا فإن كافة الكتب التى تصدر عن غير مكتبة التراث الإسلامى ودار أخبار اليوم هى كتب غير صحيحة وعلى حد تعبير الشيخ: إن أصابوا فى شىء فقد أخطأوا فى أشياء.

## مؤلفات الشيخ الشعراوى :

- للشيخ الشعراوى عدد من المؤلفات، قام مركز التراث لخدمة الكتاب والسنة بجمعها وإعدادها للنشر، وأشهر هذه المؤلفات :
- ١٠٠ سؤال وجواب للمرأة المسلمة
- ٢٠٠ سؤال وجواب فى الفقه الإسلامى
- أحكام الأسرة والبيت المسلم
- أحكام الصلاة
- أحكام الصيام
- إنكار الشفاعة
- الأذكار والدعوات والحكم الشعراوية
- الأنوار الكاشفة

- الإسراء والمعراج
- التوبة
- الجهاد في الإسلام
- الحصن الحصين
- الدار الآخرة
- السيرة النبوية
- الشيوعية . . الصنم الذي هوى
- العقيدة في الله
- الفتاوى الكبرى
- المناعة الإيمانية
- الوصايا
- حفاوة المسلمين بميلاد خير المرسلين ﷺ
- زوجات النبي ﷺ وآل البيت
- علامات القيامة الكبرى
- فتاوى النساء
- قصص الأنبياء والمرسلين
- المعجزة الخالدة معجزة القرآن ٢ / ١
- مكارم الأخلاق
- منهاج الصالحين
- التداوي بالصيام
- الجنة وعد الصدق
- الحسد
- الحياة البرزخية
- السحر
- الشفاعة والمقام المحمود
- الظلم والظالمون
- الغارة على الحجاب
- الفقه الإسلامي الميسر ٣ / ١
- الهجرة النبوية
- جهنم . . أهوالها وأحوالها
- زكاة الورعين
- علامات القيامة الصغرى
- غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم
- فتاوى القرآن
- معجزات الأنبياء والمرسلين
- معجزة القرآن في خلق الإنسان
- وصايا الرسول صلى الله عليه وسلم
- مريم والمسيح



قالوا عن الشيخ الشعراوي في يوم رحيله :

## كلمة معالي الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية فضيلة الشيخ سامي ابن الشيخ الإمام محمد متولي الشعراوي ،

في وداع والده

سبحانك ربى ما أعدلك، فحينما تشتد المصائب فى عنف؛ يسكتها الإيمان فى لطف، وحينما يعظم الكرب تتجلى رحمة الرب، ولا عزاء للمحزون إلا ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَأَنَا لِرَبِّنَا إِنَّا ذُكِّرُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٦]. أبت .. ماذا أقول وقد أحجلنا حب أحبابك، وأذرى بنا وفاء أصحابك؟

ماذا أقول وقد تختلف القلوب حولك حتى أرضتنا وأرضت عنا وبعذك عنا؟  
أبت .. يا رحمة للناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم  
أذيت وهديت، وملكت فتركت .

أبت .. هؤلاء أحبابك فى مشارق الأرض ومغاريها، لا يملك لهم عجزنا، إلا أن نسأل الله سبحانه أن يتولى عنا جزاءهم؛ حكاما ومحكومين، شعوبا قبل الرعاة .  
أبت .. أف هذا الموقف وأنا خجل من نفسى، خجل من نفسى لأننا كنا كلنا أبناءك وألك ننافس هؤلاء على حبك لهم، وعلى انفرادك بهم دوننا .  
ولكن الآن، طابت النفوس وفرت العيون، لأنك كنت تنظر بنور الله، فترى فيهم أحبابك قبلنا، وترى فيهم أبناءك دوننا .

أبت .. يضيق المقام، وتعلوا القمة، فلا يستطيع ضعفى أن يدركها .  
أبت .. تولى عنا الرضا والدعاء، لكل هؤلاء الأحباب، فى مصر وسائر البلاد الإسلامية ملوكاً ورؤساء، وشيوخاً وأمراء، وقبل هؤلاء جميعاً أحبابك الضعفاء .. الشعب الذى كنت تشور علينا، حينما نحاول أن نمسك بعض الراحة من حبيهم، وتقتب لنا جيبك، وترينا ما لم نعهده من قسوة ظاهرة فقط، حتى لا نعود لمثلها .  
أبت .. أسأل ربك أن يكلاً برعايته وعنايته كل هؤلاء وعلى رأسهم رئيسنا المبارك، ومنظومة الإعلام كلها مسموعة، ومرئية، ومقروءة. جزاهم الله عنا خير الجزاء .  
أبت .. لا أريد أن أعادر مكاني هذا قبل أن أناجيك وهى من مناداتك ومن تعليمك،

فلا فضل لى فيها، وإنى وإياك، أو إنك وإياي، كالبحر تمطره السماء وما لها فضل عليه لأنه من مائه .

أبت .. معانيك فى روحى ورسلك فى فكرى  
 هما سلوة الوجدان عن نكبة الدهر  
 قضى الله يا نفسى بما تحذرينه  
 فلست أبالى ما يجى به دهرى  
 كسبنا بك الدنيا معيناً ومونساً  
 ونرجوا بك الأخرى جزاء على الصبر  
 فيا أبت .. فيا أبت لا تحرم العين زورة  
 فأنت طليق الروح تسعى لذى أسر  
 عليك سلام الله نوراً ورحمة  
 ويجمعنا الرحمن فى ساحة الظهر

معالي الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية  
 فضيلة الشيخ / سامي محمد متولي الشعراوي



## كلمة فضيلة الشيخ الدكتور يوسف القرضاوى

فى وداع عالم الأمة الشيخ الجليل محمد متولى الشعراوى

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله . لقد فقدت الأمة الإسلامية بموت الشيخ محمد متولى الشعراوى علما من أعلامها، وكوكبا من كواكب الهداية فى سمانها، فقدت رجلا عاش عمره فى خدمة العلم وخدمة القرآن وخدمة الإسلام، وموت العلماء لا شك مصيبة على الأمة، خصوصا إذا تكرر فقدهم واحداً بعد الآخر، وقد فقدنا فى هذه الفترة عددا من هؤلاء النجوم، فقدنا الشيخ الغزالي، والشيخ خالد محمد خالد، والشيخ جاد الحق على جاد الحق، والشيخ عبد الله بن زيد آل محمود، والشيخ عبد الفتاح أبو غدة وقد جاء فى الحديث الصحيح أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : «إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤوسا جهالا فستلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا»<sup>(١)</sup>.

لقد قال الشاعر قديما بعد أن مات أحد الرجال الأتقياء :

ولكن الرزية فقد حـر يموت بموته خلق كثير

فكيف إذا كان هذا المفقود أحد العلماء الربانيين الذين تركوا وراءهم الكثير من العلم الزاخر وتراثا من التفسير الباهر للقرآن الكريم .

لقد رحل عنا رجل القرآن وهو الشيخ الشعراوى، فلا شك أنه كان أحد مفسرى القرآن الكبار، وليس كل من قرأ القرآن فهمه، ولا كل من فهم القرآن غاص فى بحاره، وعثر على لآلئه وجواهره، ولا كل من وجد هذه الجواهر استطاع أن يعبر عنها بعبارة بليغة، ولكن الشيخ الشعراوى كان من الذين أوتوا فهم القرآن، ورزقهم الله تعالى من المعرفة بأسراره وأعماقه ما لم يرزق غيره، فله فيه لطائف ولمحات وإشارات ووقفات ونظرات استطاع أن يؤثر بها فى المجتمع من حوله، وقد رزق الله الشيخ الشعراوى القبول فى نفوس الناس، فاستطاع بأسلوبه المتميز أن يؤثر فى الخاصة والعامة، فى المثقفين والأميين، فى العقول وفى القلوب، وهذه ميزة قلما يوفق إليها إلا القليلون الذين منحهم الله تعالى من فضله .

(١) أخرجه البخاري [١٠٠] ومسلم [٢٦٧٣/١٣] عن عبد الله بن عمرو رضى الله تعالى عنهما .

ترك الشيخ الشعراوي القرآن مفسراً في أشرطة في التليفزيونات العربية وقد فسر أكثر القرآن . عندما لقيته في شهر رمضان الماضي قال : إنه بقي عليه نحو أجزاء وأقل . وسألت الله تعالى أن يمد في عمره حتى ينتهي من هذا التفسير ، ويبدو أن القدر لم يمهل حتى ينهيه . وقد كتب هذا التفسير أيضا . فمن تلاميذ الشيخ من يقومون بإعداد هذا التفسير مكتوباً لينشر جزءاً بعد آخر . كما ترك الشيخ الشعراوي كتباً أخرى في موضوعات إسلامية وفتاوى في موضوعات شتى .

اتفق الناس مع الشيخ الشعراوي واختلفوا معه . وهذه طبيعة العلم والعلماء لا يمكن أن يوجد عالم يتفق عليه الناس ، كل الناس ومن في الناس يرضى كل نفس وبين هوى النفوس مدى بعيد كما قال الشاعر . وقديما قالوا : «رضا الناس غاية لا تدرك» واللّه تعالى يقول : ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَمَعَ النَّاسَ أَئِمَّةً وَبِعْدَهُمُ الْوَالِدِينَ وَالْحَقَّ أَنزَلْنَاهُ عَلَى نَسِيحٍ ﴿١٠٠﴾ إِلَّا مَنْ رَجِمَ ذَلِكََ وَالَّذِي خَلَقَهُمْ ﴾ [هود] . «قال كثير من المفسرين ﴿ وَالَّذِي ﴾ أي : للاختلاف خلقهم لأنه حين خلقهم منح كلا منهم حرية العقل وحرية الإرادة وما دام لكل منهم عقله الحر وإرادته الحرة فلا بد أن يختلفوا ولقد اختلف الناس من قبل على الرسل والأنبياء ، واختلفوا على المصلحين ، والعظماء . وقال علي رضي الله تعالى عنه : «هلك في اثنان ، محب غال ومبغض غال»<sup>(١)</sup> وهذه طبيعة الحياة والناس .

كان للشيخ نزعة الروحية الصوفية الظاهرة ، وهناك من يعادون التصوف . وكان للشيخ آراء معينة في الفقه وفي غيره لا يوافق عليها الآخرون ، مثل رأيه في زراعة الأعضاء فكان لا يوافق على ذلك . وكان الشيخ مسالماً لا يرضى بمواجهة الحكام ويأخذ الأمور بالأناة والتدرج . وهناك أناس يريدون أن يأخذوا كل شيء بالقوة وبالمواجهة فلا بد أن يخالفوا الشيخ رحمه الله ولكن مهما اختلف الناس مع الشيخ الشعراوي فلا يمكن أن يختلفوا في قيمته وفي قدره وفي دوره في الدعوة إلى الله وإلى الإسلام وعلى مخاطبة الناس بلغة عصرهم وباللغة التي يفهموها . وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ . لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ [إبراهيم : ٤] .

### الشعراوي أستاذي :

ولقد عرفت الشيخ الشعراوي وأنا طالب في المرحلة الثانوية فقد درسنا حينما جاءنا مدرسا للبلغة في معهد طنطا وتسامعنا نحن الطلاب أن جاء الشيخ الشعراوي وهو مدرس عظيم وشاعر عظيم ، أما تدريسه فقد كان فعلاً مدرساً جذاباً ، كان يستطيع أن يوصل المعلومة إلى طلابه ، بطريقة الإشارة والحركة وضرب الأمثلة ، وغير ذلك ، وأما شعره

(١) روى أحمد في المسند [١/ ١٦٠] عن علي رضي الله تعالى عنه : «يهلك من وجلان ، محب مفرط يفرطني بما ليس من ومبغض يحمله شئني على أن يبهتني» .

فكان شعرا مطبوعا وكان شاعرا مبدعا وأذكر له قصيدة لا أذكر مطلعها، وإنما آخرها وكانت قصيدة رائعة :

كل دنيا تبني على غير دين      فبناء على شفير هاري

وقد ذكرته هذا البيت عندم لقيته في شهر رمضان في دبي، وقد حضرت الاحتفال بتكريمه في دبي، حينما دعيتي لجنة الجائزة الدولية لجائزة الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم ولي عهد دبي للقرآن الكريم ولتكريم الشخصيات الإسلامية، وكان الشيخ الشعراوي هو الشخصية الإسلامية لعام ١٤١٧ هـ. ولما قيل لي ذلك قلت لهم: إن من حق الشيخ الشعراوي على أن أحضر الاحتفال بتكريمه. وقد تكلمت في تكريمه، وسر الشيخ حينما رأي أبلغ السرور وفرح وارتاح لمجئني ودعا لي كثيرا حين عرف أنني جئت لأشارك في تكريمه وهو أهل أن يكرم، والمفروض فينا نحن المسلمين أن نكرم علماءنا الأفاضل من أمثال الشعراوي والغزالي وغيرهما.

### ضرورة احترام العلماء :

وأنا أعيب على الإسلاميين لا يكرمون علماءهم ومفكرهم وأدباءهم كما يفعل العلمانيون والماركسيون الذين يضعون حالات فضحة على رجالهم، ولكننا لا نفعل ذلك مع رجالنا حتى نفقدهم ولا أستطيع إلا أن أقول ونحن نودع الشيخ الشعراوي أن أشد قول الشاعر:

ذهب الرجال المقتدى بفعالهم      والمنكرون لكل فعل منكر  
وبقيت في خلق يزين بعضهم بعضاً      ليدفع معور عن معور

إن من حق علمائنا أن نكرمهم ونقدرهم ونقتبس من ضيائهم ونأخذ العلم عنهم، وننتهز هذه الفرصة لتربى على أيديهم. ولكن أجيالنا الجديدة للأسف لا تفعل ذلك لا تعرف قيمة العالم إلا حينما تفقده، وليس أمثال الشيخ الشعراوي بالكثيرين بل هم القليل والأقل من القليل ولا أرى في الساحة من يعرض الشيخ الشعراوي أو الشيخ الغزالي.. وعلينا نحن المسلمون أن نهين من شبانا من يسد الثغرة ويلبي حاجة الأمة، وإلا فإن الأمة كلها أئمة إذا خلت ساحتها من أمثال هؤلاء الرجال الذين يعلمون الناس الخير، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله تعالى وملائكته وأهل السماوات وأهل الأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت في البحر ليصلون على معلم الناس الخير»<sup>(١)</sup> لقد كان الشيخ الشعراوي من معلمي الخير للناس وأعظم

(١) روى الهيثمي في مجمع الزوائد [١/١٢٩] عن جابر رضى الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «معلم الخير يستغفر له كل شيء حتى الحيتان في البحر» وقال: رواه الطبراني في الأوسط وفيه: إسماعيل بن عبد الله بن زرارة وثقه ابن حبان وقال الأزدي منكر الحديث؛ ولا يلتفت إلى قول الأزدي في مثله، وبقي رجاله صحيحة.

الخيرات هو القرآن .. وفي الحديث الصحيح «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»<sup>(١١)</sup>.

إننا ونحن نقف مودعين لهذا الرجل العالم الرباني والذواقة الإيماني وأحد المرابين الذين نوروا القلوب بعلم الإسلام وهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وربط الناس بالله وحشدهم في ساحة هذا الدين إننا حينما نقف هذه الوقفة لا يسعنا إلا أن ندعوا الله تبارك وتعالى أن يغفر للشيخ ويتقبله في الصالحين ويجزيه عن الأزهر وعن العلم وعن القرآن وعن الإسلام وأمه خير ما يجزي به العلماء العاملين والدعاة الصادقين والأئمة المجاهدين ونسأله أن يعوضنا عنه خيرا، وأن يجعل في هذا الجيل من يخلفه في علمه وعمله ويقوم بواجبات الدعوة إلى الله .

عن جريدة الوطن / القطرية في ١٠/٦/١٩٩٨

**الدكتور يوسف القرضاوي**



فقد العلماء بالموت خسارة إنسانية كبرى، إن الناس يحسون عندئذ أن ضوءا مشعا قد خبا، وأن نورا يهديهم قد احتجب، ولقد كان هذا شيئا قريبا من إحساسنا بموت الشيخ محمد متولي الشعراوي يرحمه الله تبارك وتعالى.

كان أول ظهور له على المستوى العام «في التليفزيون» هو ظهوره في برنامج «نور على نور» للأستاذ أحمد فراج.

وكانت الحلقة الأولى التي قدمها عن «حلية رسول الله صلى الله عليه وسلم» كانت الحلقة تتحدث عن أخلاق الرسول وشمائله، ورغم أن هذا الموضوع قديم كتب فيه الكاتبون، وتحدث فيه المتحدثون، إلا أن الناس أحسوا أنهم أمام فكر جديد وعرض جديد ومذاق جديد. . لقد أحسوا أنهم يسمعون هذا الكلام لأول مرة.

ولعل هذه كانت أول مزية للشيخ الشعراوي، إن القديم كان يبدو جديدا على لسانه، أيضا أشاعت هذه الحلقة إحساسا في الناس بأن الله يفتح على الشيخ الشعراوي وهو يتحدث، ويلهمه معاني جديدة وأفكارا جديدة.

بعد هذا القبول العام انخرط الشيخ الشعراوي في محاولة لتفسير القرآن وأوقف حياته على هذه المهمة ؛ ولأنه أستاذ للغة أساسا كان اقترابه المغربي من التفسير آية من آيات الله، وبدا هذا التفسير للناس جديدا كل الجدة، رغم قدمه ورغم أن تفسير القرآن قضية تعرض لها آلاف العلماء على امتداد القرون والدهور، إلا أن تفسير الشيخ الشعراوي بدا جديدا ومعاصرا رغم قدمه، وكانت موهبته في الشرح وبيان المعاني قادرة على نقل أعماق الأفكار بأبسط الكلمات .. وكانت هذه موهبته الثانية . وهكذا تجمعت القلوب حول

(١١) أخرجه البخاري [٥٠٢٧] عن عثمان رضي الله تعالى عنه.

الرجل وأحاطته بسياج منيع من الحب والتقدير . . وزاد عطاؤه وزاد إعجاب الناس به ،  
ومثل أي شمعة تحترق من طرفيها لتضيء ، مضى الشيخ الشعراوي في مهمته حتى اختاره  
الله إلى جواره . . عزاء لنا وللأمة الإسلامية .

«أحمد بهجت»



إن الشيخ الشعراوي عليه رحمة الله كان واحداً من أعظم الدعاة إلى الإسلام في  
العصر الذي نعيش فيه ، والملكة غير العادية التي جعلته يطلع جمهوره على أسرار جديدة  
وكثيرة في القرآن الكريم . وكان ثمرة لثقافته البلاغية التي جعلته يدرك من أسرار الإعجاز  
البياني للقرآن الكريم ما لم يدركه الكثيرون وكان له حضور في أسلوب الدعوة يشرك معه  
جمهوره ويوقظ فيه ملكات التلقي . ولقد وصف هو هذا العطاء عندما قال : «إنه فضل  
جود لا بذل جهد» . رحمه الله وعوض أمثنا فيه خيراً .

«د. محمد عمارة»



إن الشيخ الشعراوي قد قدم لدينه ولأمة الإسلام وللإنسانية كلها أعمالاً طيبة  
تجعله قدوة لغيره في الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة .

«د. محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر»



فقدت الأمة الإسلامية علماً من أعلامها كان له أثر كبير في نشر الوعي الإسلامي  
الصحيح ، وبصمات واضحة في تفسير القرآن الكريم بأسلوب فريد جذب إليه الناس من  
مختلف المستويات الثقافية .

«د. محمود حمدي زقزوق وزير الأوقاف»



إن الشعراوي أحد أبرز علماء الأمة الذين جدد الله تعالى دينه على أيديهم كما قال  
الرسول صلى الله عليه وسلم : «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد  
لها أمر دينها» .

«د. أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر»



إن الفقيد واحد من أفاض العلماء في الإسلام قد بذل كل جهد من أجل خدمة الأمة  
في دينها وأخلاقها .

«الشيخ أحمد كفتارو منفي سوريا»

إن الجمعية الشرعية تنعى إلى الأمة الإسلامية فقيد الدعوة والدعاة إمام الدعاة إلى  
الله تعالى ، حيث انتقل إلى رحاب ربه آمناً مطمئناً بعد أن أدى رسالته كاملة وبعد أن وجه  
المسلمين جميعاً في مشارق الأرض ومغاربها إلى ما يصلح شئون حياتهم ويسعدهم في

آخرتهم، فرحم الله شيخنا الشعراوي رحمة واسعة وجعله في مصاف النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا وجزاه الله عما قدم للإسلام والمسلمين خير الجزاء

«د. فؤاد مخير رئيس عام الجمعية الشرعية»



لا شك أن وفاة الإمام الراحل طيب الذكر فضيلة الشيخ الشعراوي تمثل خسارة فادحة للفكر الإسلامي والدعوة الإسلامية والعالم الإسلامي بأسره، فقد كان رحمه الله رمزا عظيما من رموز ذلك كله وخاصة في معرفته الشاملة للإسلام وعلمه المتعمق وصفاء روحه وشفافية نفسه واعتباره قدوة تحتذى في مجال العلم والفكر والدعوة الإسلامية وإن حزننا لا يعادله إلا الابتهاج إلى الله بأن يطيب ثراه وأن يجعل الجنة مثواه.

«د. أحمد هيكل وزير الثقافة السابق»



لا ينبغي أن نبأس من رحمة الله والإسلام الذي أفرز الشيخ الشعراوي قادر على أن يمنح هذه الأمة نماذج طيبة وعظيمة ورائعة تقرب على الأقل من الشيخ الشعراوي ومع ذلك نعتبر موته خسارة كبيرة، خسارة تضاف إلى خسائر الأعوام الماضية أمثال أساتذتنا الغزالي، وجاد الحق وخالد محمد خالد. وأخشى أن يكون هذا نذير اقتراب يوم القيامة الذي أخبرنا الرسول صلى الله عليه وسلم أن من علاماته أن يقبض العلماء الأكفأ الصالحون وأن يبقى الجهال وأنصاف العلماء وأشباههم وأرباعهم فيقتوا بغير علم ويطوعوا دين الله وفقا لضغوط أولياء الأمور ويصبح الدين متقادا لا قائدا.

ونسأل الله أن يجنب الأمة شر هذا وأن يخلفها في الشيخ الشعراوي خيرا.

«د. عبد الحليم عويس أستاذ التاريخ الإسلامي»



رحم الله تعالى شيخنا الجليل رحمة واسعة وجزاه عنا وعن أمة الحبيب محمد صلى الله عليه وآله وسلم أحسن الجزاء وأنزله منازل الأبرار وجمعنا به في مستقر رحمته مع النبيين والصدّيقين والشهداء وحسن أولئك رفيقا. والحمد لله رب العالمين

ذي الحجة ١٤٢٤

عبد الله حجاج

## القرآن.. المعجزة؟

القرآن هو كلام الله المنزل على رسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والمتعبد بتلاوته والمتحدى به الإنس والجنّ والعالمون، ولم يتحدّ الله به الملائكة؛ لأن الملائكة ليس لهم اختيارات يعملون بها، إنما هم يفعلون ما يؤمرون، ومن هنا فإن القرآن يتحدى كل القوى المختارة أو التي لها اختيار، أو التي ميزها الله بقدرة العقل والفكر والاختيار.

وقبل أن نتحدث عن معجزات القرآن، فإننا يجب أولاً أن نحدد ما هي المعجزة؟

المعجزة هي خرق لنواميس الكون، أو لقوانين الكون، يعطيها الله سبحانه وتعالى لرسوله ليبدل على منهجه، ويشبّتهم به، ويؤكد للناس أنهم رسوله تؤيدهم السماء وتنصرهم والسماء حين تؤيد وتنصر، نقف قوانين البشر عاجزة لا تستطيع أن تفعل شيئاً.

ولكننا حين يأتي إنسان ويقول: إنه رسول من عند الله جاء ليبلغ منهجه، أنصده أم أننا نطالبه بإثبات ما يقول؟ إذن.. كان لا بد أن تجيء مع كل رسول معجزة تثبت صدقه في رسالته وفي بلاغه عن الله.

ومعجزات الله تتميز عن أية معجزات أخرى تمييزاً واضحاً قادراً، فهي أولاً تأتي وتتحدى من أرسل فيهم الرسول فيما نبغوا فيه، لماذا؟ لأن التحدي فيما نبغ فيه القوم لا يعتبر تحدياً فمثلاً إذا جئنا ببطل العالم في رفع الأثقال، وتحدينا به رجلاً عادياً، لا يكون هناك مجال للتحدي، لماذا؟ لأن المتحدى لم يبتغ في جنس العمل نفسه الذي أريد أن يتم فيه التحدي ولكننا إذا جئنا ببطلين من أبطال العالم، فإن التحدي يكون بينهما واضحاً ويكون له معنى فيمن يثبت أنه هو الأقوى.

وإذا جئنا بإنسان قد نبغ في الطب مثلاً وأرسلناه إلى بلد ليس فيه طبيب فلا يعتبر هذا تحدياً؛ لأنه لا يمكن أن نجد هذا الطبيب من يناقسه بحيث يكون هناك مجال للتحدي ولكننا إذا جئنا بهذا الطبيب وأرسلناه إلى أكبر عواصم العالم، هنا يكون التحدي لهذا الطبيب هو تحد بقوة العقل حيث إننا وضعناه في اختبار مع أكبر ما في عصره من قوة يمكن أن تواجهه نكون بذلك قد وصلنا إلى نقطتين: النقطة الأولى، أن المعجزة يجب أن تكون خرقاً لقوانين البشر ولا يقدر عليها إلا الله سبحانه وتعالى الذي وضع هذه القوانين. وثانيتها أن المعجزة - معجزة كل نبي - يجب أن تكون مما نبغ فيه قومه حتى يكون التحدي نابغاً وقوياً وإثباتاً على قدرة الله سبحانه وتعالى، فلا آتى بقوم نبغوا في الطب مثلاً وأرسل لهم معجزة في البلاغة، أو آتى بقوم قد نبغوا في البلاغة وأرسل لهم معجزة في

الطب، هنا الإحساس بالمعجزة لا يكون فيه التحدى القوي للإنسان، فالتحدى يجب أن يكون فى أمر نبي القوم فيه حتى لا يتحدى الله قوما بأمر لا يعرفونه، ولا موهبة لهم فيه، وحتى يكون للتحدى قيمة، ومن هنا كانت معجزة كل رسول فيما نبي فيه قومه.

على أن المعجزة لا تأتي فقط بخرق القوانين والتحدى، وإنما توفر أسباب هذا التحدى بمعنى أن القوم الذين يريد الله أن يتحداهم يمكنهم من الأسباب كلها، ثم بعد ذلك يعطل الأسباب، فلا يتم الفعل.

ولنعط أمثلة سريعة على ذلك؛ مثلا معجزة نجاة إبراهيم عليه السلام، ومعجزة نجاة موسى عليه السلام، كلتاهما معجزة، وضعت فيها الأسباب ثم عطلت، فمعجزة إبراهيم جاءت تحديا فى قوم يعبدون الأصنام، ويسجدون لها ويقدمونها، ولذلك عندما أرادوا إحراق إبراهيم كانوا يريدون أن ينتقموا لألهتهم وهى الأصنام، وكان الانتقام معدا بالشكل الذى يمجده هذه الأصنام، ويجعل إبراهيم عبرة لكل إنسان تسول له نفسه أن يهينها أو يكفر بها<sup>(١)</sup>.

وجاءوا بإبراهيم عليه السلام، وأمام آلهتهم وفى حمايتها كما يعتقدون بزعمهم، وأوقدوا نارا هائلة ليحرقوه والحرق هنا أمام الآلهة وعلى مشهد منها ليكون الانتقام من إبراهيم انتقاما تباركه الآلهة وتجعله رهيبا، وجاءوا بالحطب ووقفوا أمام آلهتهم مصدر قوتهم، وأوقدوا النار الهائلة كل شىء يعبد هنا معد لتمجيد آلهة غير الله سبحانه وتعالى، وأتوا بإبراهيم، والسؤال هنا لماذا جعلهم الله يأتون بإبراهيم ليحرقوه فى النار أمام آلهتهم؟ من الممكن أن يختفى إبراهيم فى أى مكان ولا يظهر، وكانت هذه المسألة ممكنة؛ وهى تقى إبراهيم الحرق وتجعلهم لا يعشرون عليه ولكنه لو حدث هذا لقالوا: لو أننا قبضنا على إبراهيم لأحرقناه؛ ولكن حينئذ كانت ستظل قوة الآلهة المزيفة التى يعبدونها مسيطرة عليهم فى أن لها قدرة النفع والضرر وأنها تنفع من يعبدها وتضر من يؤذيها، وقالوا لولا هروب إبراهيم لأحرق فى النار ودمرته آلهتهم - وهى الأصنام - تدميرا، ولذلك كان لابد ألا يهرب إبراهيم بل يقع فى أيديهم. ليشهد القوم جميعا فساد معتقداتهم وعجزها أمام قدرة الله.

وكان من الممكن أن تنطفى النار لأى سبب من الأسباب، كأن ينزل المطر من السماء فتتطفى النار، ولكن هذا لم يحدث، لماذا؟ للسبب نفسه؛ لأنه لو انطفأت النار لقال الكفار: إن آلهتنا كانت قادرة على أن تحرق إبراهيم، ولكن السماء أمطرت ولو أن السماء لم تمطر لانتمت آلهتنا منه بالحرق. فإبراهيم لم يهرب، بل وقع فى أيديهم،

(١) لمزيد من التفاصيل راجع كتاب شرح معجزات الأنبياء والرسول لقضية الشيخ الإمام محمد متولى الشعراوى. وهو من منشورات مكتبة التراث الإسلامى.



رأوا المعجزة أحسوا بروعتها، أحسوا بجلالها، أحسوا بأنها من عند الله سبحانه وتعالى، فنسوا فرعون ووعوده. ونسوا الذهب والفضة وجاء الدنيا الذي ينتظرهم، بل نسوا أن فرعون سيسومهم سوء العذاب، وأنه جبار في الأرض، تلاشى كل هذا عندما رأوا المعجزة، وخرروا ساجدين لله، وكانوا هم الذين أراد فرعون أن يتحدى بهم معجزة الله ودين الله، فإذا بهم أول من يسجد لهذا الدين.

تلك روعة المعجزة تستطيع أن تثبينها إذا عرفت أن السحرة كانوا موعودين بالجاه والسلطان والمال، وكانوا هم أعوان فرعون الذين يروجون له، وكان في أيديهم حكم الدنيا إذا غلبوا، أو إذا اتهموا موسى بأى اتهام باطل يروج له فرعون وجنوده، ولكنهم هتوا وذهلوا أمام معجزة فخر وساجدين، وتركوا كل هذا مضافاً إليه عذاب فرعون عندما رأوا آية من آيات الله. وعيسى جاء إلى قومه وقد نبغوا في العطب فأبرأ الأكمه والأبرص، وزاد على ذلك بأنه أحيا الموتى بإذن الله، إذن عيسى تحدى قومه في شيء نبغوا فيه، فجاء لهم بما تجاوز علمهم، وزاد عليه بإحياء الموتى بإذن الله، فكان التحدى من جنس ما نبغ فيه قومه<sup>(١)</sup>.

(١) قال القرطبي قوله تعالى: ﴿ **وَأَنْزَلْنَا الْأَصْحَفَ وَالْأَنْبُوتَ وَأَتَى النَّوْفَ بِإِذْنِ اللَّهِ** ﴾ الأكمه: الذي يولد أعمى؛ عن ابن عباس. وكذا قال أبو عبيدة قال: هو الذي يولد أعمى؛ وأنشد لروية: فارتد ارتداد الأكمه. وقال ابن فارس: الكمه العمى يولد به الإنسان وقد يعرض. قال سويد: كَمِهَتْ عَيْنَاهُ حَتَّى لَيْسَتْ

مجاهد: هو الذي يُبصر بالنهار ولا يبصر بالليل. عكرمة: هو الأعمش، ولكنه في اللغة العمى؛ يقال كَمِهَ بَكَمِهِ كَمَيْهَا وكَمَيْتُهَا إِذَا أَعْمِنَهَا. والبرص معروف وهو بياض يعثرى الجلد، والأبرص القمر، وسام أبرص معروف، ويجمع على الأبرص. وخص هذان بالذكر لأنهما عيانه. وكان الغالب على زمن عيسى عليه السلام العطب فأراهم الله المعجزة من جنس ذلك. ﴿ **وَأَتَى النَّوْفَ بِإِذْنِ اللَّهِ** ﴾ قيل: أحيا أربعة أنفس: العاذر؛ وكان صديقا له، وابن العجوز وابنة العاشر وسام بن نوح؛ فأنه أعلم.

فأما العاذر فإنه كان قد توفي قبل ذلك بأيام فدعا الله فقام بإذن الله وودعه يقطر فعاش وولد له، وأما ابن العجوز فإنه مر به يُحمله على سريره فدعا الله فقام ولبس ثيابه وحمل السرير على عنقه ورجع إلى أهله. وأما بنت العاشر فكان أتى عليها ليلة فدعا الله فعاشت بعد ذلك وولدت لها؛ فلما رأوا ذلك قالوا: إنك تحيي من كان موته قريبا فلعلمهم لم يعوتوا فأصابهم سكتة فأحیی لنا سام بن نوح. فقال لهم: هلوني على قبره، فخرج وخرج القوم معه، حتى انتهى إلى قبره فدعا الله فخرج من قبره وقد شاب رأسه. فقال له عيسى: كيف شاب رأسك ولم يكن في زمانكم شيب؟ فقال: يا روح الله، إنك دعوتني فسمعت صوتا يقول: أجب روح الله، فظننت أن القيامة قد قامت، فمن هول ذلك شاب رأسي. فسأله عن النزاع فقال: يا روح الله إن مرارة النزاع لم تذهب عن حنجرتي؛ وقد كان من وقت موته أكثر من أربعة آلاف سنة، فقال للقوم: صدقوه فإنه نبي؛ فأمن به بعضهم وكذب بعضهم وقالوا: هذا سحر.

وروي من حديث إسماعيل بن عياش قال: حدثني محمد بن طلحة عن رجل أن عيسى بن مريم كان إذا أراد أن يحيي الموتى صلى ركعتين يقرأ في الأولى: ﴿ **تَبْرَأُ إِلَهِي بِيَدِهِ الْمَلَكُ** ﴾ [الملك: ١] وفي الثانية: ﴿ **تَبْرَأُ** ﴾ [السجدة: ٢] فإذا فرغ حمد الله وأثنى عليه ثم دعا بسبعة أسماء: يا قديم يا خفي يا دائم يا فرد يا وتر يا أحد يا صمد؛ ذكره البيهقي وقال: ليس إسناده بالقوي.

## النبي محمد صلى الله عليه وسلم أوتى جوامع الكلم

ومحمد صلى الله عليه وسلم جاء والعرب قوم بلاغة وفصاحة، فجاء لهم بمعجزة من جنس ما نبغوا فيه، وهى بلاغة القرآن التى تحدثهم وأعجزتهم، فقالوا ساحر، وقالوا مجنون<sup>(١)</sup>. على أننا سنتناول معجزة القرآن بالتفصيل فى هذا الكتاب، حيث إن إعجاز القرآن ليس لغويا فقط، ولكن له جوانب كثيرة من الإعجاز الذى يتحدى به الله سبحانه وتعالى الإنس والجن إلى يوم القيامة، والقرآن له عطاء يتجدد مع كل جيل من الأجيال.

وإذا كانت المعجزة خرقا للعادة مقرونة بالتحدى، ولا يستطيع أحد معارضتها، فقد تأتى المعجزة خرقا للعادة، ولكنها ليست مقرونة بالتحدى، أى إن الله سبحانه وتعالى لا يتحدى بها البشر ولا يظالمهم أن يأتوا بمثلاها، بل إن هذه المعجزة تأتى لإثبات طلاقة قدرة الله فى كونه، بحيث لا يخضع الإنسان كل الأسباب والمسببات<sup>(٢)</sup>، بل الإنسان المؤمن يجب أن يلجأ إلى الله سبحانه وتعالى فيما تعجز عنه الأسباب، فالله قادر قاهر ليس لقدرة قيود ولا حدود.

والقرآن يعرض مسألة المعجزة لإثبات طلاقة القدرة الإلهية فى سورة مريم، يأتى ليثبت قضية من القضايا التى اعتاد فيها الناس الأسباب والمسببات، وهى مسألة بقاء النوع

(١) روى مسلم [٥/٥٢٣] عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أفضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم. ونصرت بالرعب. وأحلت لي الغنائم وجعلت لي الأرض طهورا ومسجدا. وأرسلت إلى الخلق كافة. وختم بي النبيون.

قال الهروي: يعنى به القرآن. جمع الله تعالى فى الألفاظ اليسيرة منه، المعاني الكثيرة. وكلامه صلى الله عليه وسلم كان بالجوامع، قليل اللفظ كثير المعاني وروى البخاري [٧٠١٣] عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: بعثت بجوامع الكلم ونصرت بالرعب وبيننا أنا نائم أتيت بمفاتيح خزائن الأرض فوضعت فى يدي.

قال أبو عبد الله: ويلغني أن جوامع الكلم أن الله يجمع الأمور الكثيرة التى كانت تكتب فى الكتب قبله فى الأمر الواحد والأمرين، أو نحو ذلك.

(٢) بحيث لا يخضع الإنسان كل المسببات لأسباب أخرى غير الله عز وجل.

وبقاء النوع مشروط بالتقاء رجولة وأنوثة لينشأ إخصاب وحمل، ولا بد أن تكون الرجولة مكتملة، والأنوثة غير نافصة لينم ذلك.

فيأتى الله سبحانه وتعالى ليثبت لنا طلاقة القدرة الإلهية بلا حدود ولا قيود، حتى لا يفهم الإنسان أن الخلق مقرون بأسباب ومسببات لا بد من وجودها، ومن هنا فإن الله في قضية الخلق يريد أن يدير المسألة من زواياها الأربع، فليس بقاء النوع أو إيجاد النوع هنا بوجود ذكر وأنثى، بل هو رهن بمشيئة الخالق، ومن هنا فإن الله سبحانه وتعالى يخلق رجلاً بلا ذكر ولا أنثى - وهو أبونا آدم عليه السلام -، ويخلق من رجل بلا أنثى - أمنا حواء - ويخلق من رجل وأنثى - سائر البشر -، ويخلق من أنثى بلا رجل - عيسى عليه السلام -، وبذلك تكون أركان الخلق الأربعة قد اكتملت بـ ﴿ كُنْ فَكُونُ ﴾.

ولنشرح ذلك قليلاً، الله خلق آدم أول الخلق من لا ذكر ولا أنثى، فأدم لم يكن له أب ولا أم خلقه الله سبحانه وتعالى، ونفخ فيه من روحه، هذه واحدة، خلق من لا ذكر ولا أنثى. وخلق الله حواء على الأرجح من الذكر من دون الأنثى، ثم خلق البشرية كلها من الذكر والأنثى، بقى شيء في الخلق، أن يخلق الله من الأنثى بلا ذكر، فتأتى مسألة عيسى عليه السلام، وتأتى بقية الكون كله من البشر، ويأتى عيسى عليه السلام من أنثى لم يمسه رجل، ومن هنا تكون القسمة للخلق أربعة، فأصل الخلق كما أراد الله أن يكون وجعل له الأسباب، هو من ذكر وأنثى، ولكن الله سبحانه وتعالى أراد أن يكون النشء من غير وجودهما معاً فخلق آدم، ومن وجود الرجل وحده فخلق حواء من آدم، ومن وجودهما معاً فخلق البشرية كلها بالتناسل، ومن وجود الأنثى بدون الرجل، خلق عيسى، وبذلك تكون أوجه الخلق كلها قد اكتملت.

إلا أننا يجب أن ننسب إلى شيء هام، خلق الإنسان بدون ذكر أو أنثى، معجزة تخضع لله سبحانه وتعالى، خلق الأنثى من الرجل وحده معجزة تخضع لإرادة الله سبحانه وتعالى خلق الرجل من الأنثى وحدها بدون أن يمسه رجل، معجزة من الله سبحانه وتعالى، خلق الإنسان من ذكر وأنثى، معجزة جعلها الله في الدنيا بالأسباب والمسببات، ولكنه لم يطلقها لتتم بالأسباب والمسببات وحدها، فأدخل فيها المشيئة، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَجَعَلَ مِنْ بَيْنَهُمْ عَاقِبَةً ﴾ [الشورى: ٥٠].

إذن... كل معجزة الخلق التي تمت إنما تخضع لمشيئة الله سبحانه وتعالى، فليس وجود النوعين موجباً لأن يوجد الخلق: ﴿ يَلْمِزُكَ الْشَّكُورُ وَالْأَرْضَ يَحْمِلُ مَا بُنِيَ عَلَيْهَا لَئِنْ بَنَاهُ إِنشَاءً وَتَهَبُ لَئِنْ بَنَاهُ الذَّكَورُ ﴾ أَوْ يُرْوِحُهُمْ ذِكْرًا وَإِنشَاءً وَجَعَلَ مِنْ بَيْنَهُمْ عَاقِبَةً لَئِنْ بَنَاهُ عَلَيْهِ قَدِيرٌ ﴿ [الشورى].

المسألة ليست وجود مسببات، بل إن الله سبحانه وتعالى حين يريد للأسباب أن تفعل تفعل، وحين يريد أن تتعطل تتعطل، وحين يريد أن يأتي بالعلل من دون الأسباب يأتي بها فلا قيود ولا حدود لقدرة الله سبحانه وتعالى.

هذه القضية في أصل الكون، وهي قضية طرحها الله سبحانه وتعالى وأعطاهما للبشر ليدخل الإيمان إلى قلب المؤمن فيضع فيه السكينة، فالله سبحانه وتعالى يقول للمؤمن: إذا ضاعت الأسباب فلا تيأس، فأنا الذي خلقت الأسباب، وأنا القادر على إيجاد المسببات بدون القانون، فلا تيأس إن عزت الأسباب، ومن هنا يأوى المؤمن إلى ركن شديد ويحس بالطمأنينة تملأ قلبه، ولا يمزقه الغزع خوفاً أو رعباً، حينما يفقد أى شىء، ذلك أنه يأخذ بالأسباب أولاً، فإذا عزت الأسباب أو تعذرت ووجد كل الطرق مغلقة في وجهه. اتجه إلى الله سبحانه وتعالى، فالمؤمن لا ييأس من زوخ الله أبداً، ولا تنهار نفسه أو يضيع أمنه عندما يرى انهيار الأسباب.

وتعرض لنا هذه القصة في سورة آل عمران، ميلاد مريم رضى الله عنها، يحكى ذلك القرآن الكريم: ﴿إِذْ قَالَتْ آمُرَانُكَ بِعِزَّةٍ رَّبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّيْ إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ لَمَّا وَسَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَصَّعْتُهَا أَنْثَى ﴿٣٧﴾﴾ [آل عمران].

كلمة: ﴿إِنِّي وَصَّعْتُهَا أَنْثَى﴾ التي قالتها امرأة عمران تُفسر على أنها لم تضع ذكراً ؛ أى إن الوليد الذى جاء لا يؤدي الغرض الذى وهب من أجله ؛ لأن امرأة عمران نذرت ما فى بطنها لله سبحانه وتعالى، وكيف تستطيع مريم أن تؤدي الخدمة فى المعبد وهى أنثى وامرأة عمران تقول: إن الرجل أفضل من الأنثى فى ذلك، فيقول لها الله سبحانه وتعالى: إنك ما زلت تحسبن أن الذكر أحسن من الأنثى، هذه العملية التى تفكرين فيها هى منطق الدنيا الخائب.

ويضيف الله تعالى: ﴿وَإِنْسِ الذَّكَرَ كَالْأُنثَى﴾ [آل عمران: ٣٦]. أى: إن الأنثى التى جاءت أفضل من الذكر الذى تمنيتيه، وكأنما الأنثى لها مكانة أكثر مما تظنين، فلا تقولى: إن الله قد أعطانى أنثى ولم يعطنى ذكراً ؛ لأن الله سبحانه وتعالى هو الخالق ؛ ولأنه يعرف أن هذه الأنثى سيصبح لها شأن آخر، ويعد ذلك نعرف أن والد مريم متوفى، حيث إنها حين ولدت أرادوا أن يكفلوها، وكلمة من يكفلها دليل على أن وليها الطبيعى وهو الوالد غير موجود. ويكفلها زكريا، ومعنى أن يكفلها زكريا وفيه نبوة أنه يأتي إليها بكل مقومات حياتها، فعندما يدخل عليها المحراب يجد عندها رزقا، ومعنى أن زكريا يجد عندها الرزق عند دخوله المحراب أو المكان الذى تصلى فيه مريم وتسجد، معناه أنه لم يأت بهذا الرزق، وإنما الذى أتى به هو الله سبحانه بدليل أن زكريا يسألها: ﴿أَنْتِ لَمَبِّ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٣٧]

وابتدأت الصغيرة المكفولة مريم بفطرتها تفهم أن الله سبحانه وتعالى ليس له قانون يحكمه وأنه يرزق من يشاء بغير حساب.

هنا نتوقف قليلاً لنعرف أن الله سبحانه وتعالى حينما أعد مريم للمهمة التي ستقوم بها جعلها أولاً منذورة لله سبحانه وتعالى ولعبادته، ثم جعل من يكفلها نبياً هو زكريا ثم بعد ذلك أراد الله سبحانه وتعالى أن يمهد لها أن لكل شيء في هذا الكون سبباً، إلا أن هناك أشياء تحدث بلا أسباب، أو يعطل الله فيها الأسباب، وبدأ بمسألة الرزق الذي يرزقها به فأكفه في غير أوانها. ورزق ليس موجوداً في الأرض، تمهيداً لما هو قادم وإعلاناً لها بأن الله سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء، ثم بعد ذلك أتى الله سبحانه وتعالى بقضية أخرى هي دعاء زكريا بالولد عندما رأى الرزق بلا حساب عند مريم، هنالك دعا زكريا ربه، وطلب زكريا ولداً فاستجاب الله لدعائه، وبشره بالغلام، هنا تذكر زكريا عند هذه البشرية انهيار الأسباب عنده، فقال: يا ربى إننى رجل عمجوز، أى إن الأسباب الكونية لإمكان الإنجاب غير موجودة، فكيف أستطيع أن أنجب طفلاً؟ فقال الله سبحانه وتعالى: ﴿ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىٰ هَيْئٍ وَقَدْ خَلَقْنَاكَ مِن قَبْلُ وَكَرَّمْنَاكَ سَيِّئًا ﴾ [مريم: ٩].

فإذا كان الله سبحانه وتعالى قد خلق زكريا، ولم يك شيئاً يذكر فهو يستطيع أن يعطيه الغلام بدون التقييد بالأسباب، هنا تذكير مرة أخرى لمريم بأن الله سبحانه وتعالى إذا أراد فإنه يوجد الأشياء بدون الأسباب نفسها، أولاً أعطاه الرزق بلا أسباب للرزق ثم استجاب دعوة زكريا التى دعاها فى المحراب، فقال الله سبحانه وتعالى: ﴿ هَٰذَا نَبَأُ زَكَرِيَّا رَبِّهِ ﴾ [آل عمران: ٣٨].

وكلمة: ﴿ هَٰذَا نَبَأُ ﴾ تشير إلى أن الدعاء تم فى المحراب عند مريم لتشهد مرة أخرى ما يثبت فؤادها فيما أعده الله لها، فترى الخلق يتم بدون أسباب الخلق، فزكريا عمجوز، وامرأته عاقرة ومع ذلك فإن الله قادر على أن يرزقه بولد، وكل هذا هدفة ألا تهتز مريم مما ستتعرض له من ولادة بدون ذكر، ومع ذلك، ومع كل هذه المقدمات اهتزت مريم حين رأت جبريل عليه السلام: ﴿ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي وَرَبِّ وَلَمْ أَلِدْ وَيَنبَأُ ﴾ [مريم: ٢٠].

أى: إنه بعد كل هذه المقدمات من رزق بلا أسباب، ومن ولد لزكريا مع انتفاء الأسباب مع كل هذه المقدمات اهتزت مريم عندما رأت جبريل حتى أن الله سبحانه وتعالى ليثبتها قال لها: ﴿ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىٰ هَيْئٍ وَلَنَجْعَلَنَّ ٱبْنَهُ لِنِسَائِهِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴾ [مريم: ٢١].

والله سبحانه وتعالى يريد أن يقول لمريم: بعد كل هذه المقدمات من رزق بلا

أسباب ومن خلق مع اختفاء الأسباب تتعجبين مما يحدث، لقد قلت يا مريم: ﴿إِنَّ اللَّهَ بَرُّؤُكُ مِنْ نِسَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [آل عمران: ٣٧].

شهدت يا مريم أن الله سبحانه وتعالى حين يريد تعطيل نواميس الكون، وإيجاد المسببات بلا أسباب، يستطيع أن يفعل ذلك، شهدته في زكريا، ومع ذلك تتعجبين.

هذه المعجزة - معجزة خلق عيسى عليه السلام - لم يكن مقصودا بها التحدي فإله سبحانه وتعالى لم يتحد بها أحدا، لكن المقصود بها هو طلاقة القدرة أي إن الله يفعل ما يشاء، ومقصود بها استكمال الخلق بحيث يصبح الخلق بدون ذكر أو أنثى، ومن ذكر بلا أنثى، ثم من ذكر وأنثى لمن شاء الله، ثم من أنثى بلا ذكر وبذلك تكتمل مراحل الخلق.

ومعجزة أخرى لم يتحد بها الله بشرا، وهي معجزة شق موسى للبحر بعصاه فعندما طارد فرعون وجنوده موسى عليه السلام، ووصل أتباع موسى إلى البحر، والبحر أمامهم وجنود فرعون وراءهم، قال قومه: ﴿إِنَّا لَنَنظُرُونَ﴾، وهذه مسألة طبيعية في قوانين ومسببات البشر فجنود فرعون على بعد قريب، والبحر أمام قوم موسى، فهم لا يستطيعون مواصلة الفرار أو الهرب، وحينئذ رفع موسى الأمر إلى الله سبحانه وتعالى لم يقل سنصعد إلى جبل ليحمينا من فرعون وجنوده، ولم يقل إننا سننجو بطريقة كذا وكذا، وإنما حينما قال له قومه ﴿إِنَّا لَنَنظُرُونَ﴾، رد الأمر إلى الله سبحانه وتعالى، وقال بملء فيه: ﴿فَأَنْزَلْنَا مِنْ سَمَوَاتِنَا مَاءً فَسَوَّيْنَاهُ﴾ [الشعراء: ٦٢]، ومن هنا فإنه نقل المسألة من قانون الإنسان أو البشر إلى قانون الله سبحانه وتعالى؛ فكأنه قد نقل القدرة من القدرة البشرية المحدودة، إلى قدرة الله سبحانه وتعالى التي ليس لها حدود ولا قيود، والتي تتم بكلمة كن، وما دام قد نقل القدرة منه هو إلى قدرة الله سبحانه فقد أصبحت هذه القدرة ينطبق عليها لفظ سبحان الله و ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]؛ أي: إنه لا عجب فيما سيحدث ولو خالف كل قوانين البشر لأن الفاعل هو الله سبحانه وتعالى فأصبحت النجاة نابعة من قدرة الله وليست من قدرة البشر فقال تعالى له: ﴿فَارْحَبْنَا إِلَىٰ مَوْجِ الْبَحْرِ فَنَافَقْنَا﴾ [الشعراء: ٦٣].

والمعروف أن الماء لا يفلق لأن قوانين الماء هي الاستطراق، أي: لا يكون عاليا في مكان ومنخفضا في مكان آخر، لا بد أن يتساوى سطحه، فإذا ضرب موسى بعصاه البحر فهو لا يستخدم قوانين الأرض، ولا قوانين الماء، ولا قدرات البشر؛ لأنه رفع الأمر إلى الله سبحانه وتعالى، ومن هنا تكون القدرة والفعل لله فينشق البحر، وينجو موسى وقومه.

هذا هو معنى المعجزة في إيجاز بالغ، فالمعجزة هي خرق لنواميس الكون، تحدي ولا يستطيع أحد معارضتها.

والمعجزات نوعان: معجزات أعطها الله سبحانه وتعالى لرسوله ليتحدوا بها قومهم، ويثبتوا أنهم جاءوا بالهدى وبالرسالات من عند الله، ويثبتوا الإيمان في قلوب الناس، ويبينوا لهم الطريق المستقيم المؤدى إلى الحياة السليمة، وهو قوانين الله في الأرض، وليعرف الجميع أن هؤلاء رسل جاءوا من عند الله بمنهج الله وضعه للإنسان وهناك معجزات أخرى في الكون، لم يرد الله بها التحدى، ولكنه أراد إثبات طلاقته في الكون في أنه هو الخالق، وأنه هو الموجد للأسباب والمسببات وأنه يقول: ﴿ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ بلا مسببات، مادام الأمر قد رفع إلى الله سبحانه وتعالى بعيدا عن قدرات البشر وقوتهم.

